

## فصل لا تحد المحبة بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء

فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة وإنما يتكلم الناس في أسبابها ومحباتها وعلاماتها وشاهدها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرة الإشارات بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء :

أحدها : الصفاء والبياض ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حب الأسنان

الثاني: العلو والظهور ومنه حب الماء وحبه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد وحب الكأس منه

الثالث : اللزوم والثبات ومنه حب البعير وأحب إذا بر크 ولم يقم قال الشاعر حللت عليه بالفلة ضربا % ضرب بغير السوء إذ أحبا

الرابع : اللب ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه الحبة لواحدة الحبوب إذي أصل الشيء ومادته وقوامه

الخامس: الحفظ والإمساك ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكته وفيه معنى الثبوت أيضا

ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة فإنها صفاء المودة وهي جان إرادات القلب للمحبوب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبتوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه ولإعطاء المحب محبوبه له وأشرف ما عنده وهو قلبه ولا جتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من أقصى الحلق والباء الشفوية التي هي نهاية فللقاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه و قالوا في فعلها حبه وأحبه قال الشاعر

أحب أبا ثروان من حب تمره ولم تعلم أن الرفق بالجار أرق فوالله لو لا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد وشرق ثم اقتصرت على اسم الفاعل من أحب فقالوا محب ولم يقولوا حاب واقتصرت على اسم المفعول من حب فقالوا محبوب ولم يقولوا محب إلا قليلا كما قال الشاعر

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم وأعطوا الحب حرقة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حرقة مسماه وقوتها وأعطوا الحب وهو المحبوب حرقة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم من إعطائه حكم نظائره كنهب بمعنى منهوب وذبح بمعنى مذبوح وحمل للمحمول بخلاف الحمل الذي هو مصدر لخفتة ثم ألحقو به حملا لا يشق على حامله حمله كحمل الشجرة والولد فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة وأن لها شأنها ليس لسائر اللغات.

## فصل في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشاهدها

والكلام على ما يحتاج إليه منها

**الأول** : قيل المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وهذا الحد لا تمييز فيه بين الحبة الخاصة والمشتركة والصحيحة والمعلولة

**الثاني** : إثمار المحبوب على جميع المصحوب وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها

**الثالث** : موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا أيضا موجها ومقتضها وهو أكمل من الحدين قبله فإنه يتناول

**المحبة الصادقة الصحيحة خاصة بخلاف مجرد الميل والإيثار بالإرادة** فإنـه إن لم تصحبه موافقة فمحبته معلولة  
**الرابع:** محـو الحـب لـصـفـاتـه وإثـباتـه المـحـبـوبـ لـذـاته وـهـذـا أـيـضاـ منـ أحـكـامـ الفـنـاءـ فيـ المـحـبـةـ أـنـ تـنـمـيـ صـفـاتـ المـحـبـ  
وـتـقـنـىـ فيـ صـفـاتـ مـحـبـويـهـ وـذـاتـهـ وـهـذـا يـسـتـدـعـيـ بـيـانـاـ أـتـمـ منـ هـذـاـ لـاـ يـدـرـكـهـ إـلـاـ مـنـ  
**الخامس :** موـاطـأـةـ القـلـبـ لـمـرـادـاتـ المـحـبـوبـ وـهـذـاـ أـيـضاـ منـ مـوجـاتـهاـ وـأـحـكـامـهاـ وـالـمـوـطـأـةـ المـوـافـقـةـ لـمـرـادـاتـ المـحـبـوبـ  
وـأـوـامـرـهـ وـمـرـاضـيـهـ

**السادس:** خـوفـ تركـ الـحرـمةـ معـ إـقـامـةـ الخـدـمـةـ وـهـذـاـ أـيـضاـ منـ أـعـلـامـهاـ وـشـواـهـدـهاـ وـآـثـارـهاـ أـنـ يـقـومـ بـالـخـدـمـةـ كـمـاـ يـنـبـغـيـ  
معـ خـوفـهـ منـ تـرـكـ الـحرـمةـ وـالـتـعـظـيمـ

**السابع :** استـقـلالـ الكـثـيرـ منـ نـفـسـكـ وـاستـكـثـارـ القـلـيلـ منـ حـبـيـكـ وـهـذـاـ قـوـلـ أـبـيـ يـزـيدـ وـهـوـ أـيـضاـ منـ أـحـكـامـهاـ وـمـوجـاتـهاـ  
وـشـواـهـدـهاـ وـالـمـحـبـ الصـادـقـ لـوـبـذـلـ لـمـحـبـويـهـ جـمـيعـ ماـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ لـاستـقـلهـ وـاستـحـيـيـ مـنـهـ وـلـوـ نـالـهـ مـنـ مـحـبـويـهـ أـيـسرـ شـيـءـ  
لـاستـكـثـرهـ وـاسـتـعـظـمـهـ

**الثـامـنـ :** استـكـثـارـ القـلـيلـ منـ جـنـايـتكـ وـاستـقـلالـ الكـثـيرـ منـ طـاعـتكـ وـهـوـ قـرـيبـ مـنـ الذـيـ قـبـلـهـ لـكـنـ مـخـصـوصـ بـمـاـ مـنـ  
الـمـحـبـ

**التـاسـعـ :** مـعـانـقـةـ الطـاعـةـ وـمـبـاـيـنـةـ الـمـخـالـفـةـ وـهـوـ لـسـهـلـ لـإـبـنـ عـبـدـالـلـهـ الـقـرـشـيـ وـهـوـ أـيـضاـ حـكـمـ الـمـحـبـةـ وـمـوجـبـهاـ

**الـعاـشـرـ :** دـخـولـ صـفـاتـ المـحـبـ عـلـىـ الـبـدـلـ مـنـ صـفـاتـ الـمـحـبـ وـهـوـ لـلـجـنـيدـ وـفـيـهـ غـمـوضـ وـمـرـادـهـ أـنـ اـسـتـيـلـاءـ ذـكـرـ  
الـمـحـبـ وـصـفـاتـهـ وـأـسـمـائـهـ عـلـىـ قـلـبـ الـمـحـبـ حـتـىـ لـاـ يـكـوـنـ الغـالـبـ عـلـيـهـ إـلـاـ ذـكـرـ وـلـاـ يـكـوـنـ شـعـورـهـ وـإـحـسـاسـهـ فـيـ  
الـغـالـبـ إـلـاـ بـهـاـ فـيـصـيـرـ شـعـورـهـ وـإـحـسـاسـهـ بـدـلاـ مـنـ شـعـورـهـ وـإـحـسـاسـهـ بـصـفـاتـ نـفـسـهـ وـقـدـ يـحـتـمـلـ مـعـنـيـ أـشـرـفـ مـنـ هـذـاـ وـهـوـ  
تـبـدـلـ صـفـاتـ الـمـحـبـ الـذـمـيـمـةـ الـتـيـ لـاـ تـوـافـقـ صـفـاتـ الـمـحـبـ بـالـصـفـاتـ الـجـمـيـلـةـ الـمـحـبـوـيـةـ الـتـيـ تـو~افقـ صـفـاتـهـ وـالـلـهـ  
أـعـلـمـ

**الـحـادـيـ عـشـرـ :** أـنـ تـهـبـ كـلـكـ لـمـنـ أـحـبـيـتـ فـلـاـ يـقـىـ لـكـ مـنـكـ شـيـءـ وـهـوـ لـأـبـيـ عـبـدـالـلـهـ الـقـرـشـيـ وـهـوـ أـيـضاـ مـوجـبـاتـ  
الـمـحـبـةـ وـأـحـكـامـهاـ وـالـمـرـادـ أـنـ تـهـبـ إـرـادـتـكـ وـعـزـمـكـ وـأـفـعـالـكـ وـنـفـسـكـ وـمـالـكـ وـوـقـتـكـ لـمـنـ تـجـبـهـ فـنـاهـ وـارـدـ الـمـحـبـةـ عـنـهـ  
وـأـخـذـهـ مـنـهـ. وـتـجـعـلـهـ حـبـسـاـ فـيـ مـرـضـاتـهـ وـمـحـابـهـ فـلـاـ تـأـخـذـ لـنـفـسـكـ مـنـهـ إـلـاـ مـاـ أـعـطـاـكـ فـتـأـخـذـهـ مـنـهـ لـهـ

**الـثـانـيـ عـشـرـ :** أـنـ تـمـحـوـ مـنـ الـقـلـبـ مـاـ سـوـىـ الـمـحـبـ وـهـوـ لـلـشـبـلـيـ وـكـمـالـ الـمـحـبـةـ يـقـضـيـ ذـكـرـ فـيـ مـاـ دـامـتـ فـيـ الـقـلـبـ  
بـقـيـةـ لـغـيـرـهـ وـمـسـكـنـ لـغـيـرـهـ فـالـمـحـبـةـ مـدـخـولـةـ

**الـثـالـثـ عـشـرـ :** إـقـامـةـ الـعـتـابـ عـلـىـ الدـوـامـ وـهـوـ لـابـنـ عـطـاءـ وـفـيـهـ غـمـوضـ وـمـرـادـهـ أـنـ لـاـ تـزـالـ عـاتـبـاـ عـلـىـ نـفـسـكـ فـيـ مـرـضـةـ  
الـمـحـبـ وـأـنـ لـاـ تـرـضـيـ لـهـ فـيـهـ عـمـلاـ وـلـاـ حـالـاـ

**الـرـابـعـ عـشـرـ :** أـنـ تـغـارـىـ عـلـىـ الـمـحـبـوـيـهـ أـنـ يـجـبـهـ مـثـلـكـ وـهـوـ لـلـشـبـلـيـ أـيـضاـ وـفـيـ كـلـامـ سـنـدـكـرـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ فـيـ مـنـزـلـةـ الـغـيـرـةـ  
وـمـرـادـهـ اـحـتـقـارـكـ لـنـفـسـكـ وـاسـتـصـغـارـهـاـ أـنـ يـكـوـنـ مـثـلـكـ مـنـ مـحـبـيـهـ

**الـخـامـسـ عـشـرـ :** إـرـادـةـ غـرـسـتـ أـغـصـانـهـ فـيـ الـقـلـبـ فـأـثـمـرـتـ الـمـوـافـقـةـ وـالـطـاعـةـ

**الـسـادـسـ عـشـرـ :** أـنـ يـنـسـىـ الـمـحـبـ حـظـهـ فـيـ مـحـبـوـيـهـ وـيـنـسـىـ حـوـائـجـهـ إـلـيـهـ وـهـوـ لـأـبـيـ يـعقوـبـ السـوـسيـ وـمـرـادـهـ أـنـ اـسـتـيـلـاءـ  
سـلـطـانـهـ عـلـىـ قـلـبـهـ غـيـرـهـ عـنـ حـظـوظـهـ وـعـنـ حـوـائـجـهـ وـانـدـرـجـتـ كـلـهـاـ فـيـ حـكـمـ الـمـحـبـةـ

**الـسـابـعـ عـشـرـ :** مـجـانـيـةـ السـلـوـ عـلـىـ كـلـ حـالـ وـهـوـ لـنـصـراـبـاـذـيـ وـهـوـ أـيـضاـ مـنـ لـوـازـمـهـاـ وـثـمـرـاتـهـ كـمـاـ قـيـلـ مـرـتـ بـأـرـجـاءـ الـخـيـالـ  
طـيـوـفـهـ فـبـكـتـ عـلـىـ رـسـمـ السـلـوـ الدـارـسـ

**الـثـامـنـ عـشـرـ :** تـوـحـيدـ الـمـحـبـوـيـهـ بـخـالـصـ الإـرـادـةـ وـصـدـقـ الـطـلـبـ

**الـتـاسـعـ عـشـرـ :** سـقـوـطـ كـلـ مـحـبـةـ مـنـ الـقـلـبـ إـلـاـ مـحـبـةـ الـحـبـيـبـ وـهـوـ لـمـحـمـدـ بـنـ الـفـضـلـ وـمـرـادـهـ تـوـحـيدـ الـمـحـبـوـيـهـ بـالـمـحـبـةـ

**الـعـشـرونـ :** غـضـ طـرفـ الـقـلـبـ عـمـاـ سـوـىـ الـمـحـبـوـيـهـ غـيـرـهـ وـعـنـ الـمـحـبـوـيـهـ هـيـةـ وـهـذـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـبـيـنـ أـمـاـ الـأـوـلـ فـظـاهرـ

وـأـمـاـ الثـانـيـ فـيـانـ غـضـ طـرفـ الـقـلـبـ عـنـ الـمـحـبـوـيـهـ

كـمـالـ مـحـبـتـهـ كـالـمـسـتـحـيلـ وـلـكـ عـنـدـ اـسـتـيـلـاءـ الـهـيـةـ يـقـعـ مـثـلـ هـذـاـ وـذـلـكـ مـنـ عـلـامـاتـ الـمـحـبـةـ الـمـقـارـنـةـ لـلـهـيـةـ وـالـتـعـظـيمـ

وـقـدـ قـيـلـ إـنـ هـذـاـ تـفـسـيـرـ قـوـلـ النـبـيـ حـبـكـ الشـيـءـ يـعـمـيـ وـيـصـمـ أـيـ يـعـمـيـ عـمـاـ سـوـاهـ غـيـرـهـ وـعـنـهـ هـيـةـ وـلـيـسـ هـذـاـ مـرـادـ

الـحـدـيـثـ وـلـكـنـ الـمـرـادـ بـهـ أـنـ حـبـكـ الشـيـءـ يـعـمـيـ وـيـصـمـ عـنـ تـأـمـلـ قـبـائـحـهـ وـمـساـوـيـهـ فـلـاـ تـرـاـهـاـ وـلـاـ تـسـمـعـهاـ وـإـنـ كـانـتـ فـيـهـ  
وـلـيـسـ الـمـرـادـ بـهـ ذـكـرـ الـمـحـبـةـ الـمـطلـوـيـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـرـبـ وـلـاـ يـقـالـ فـيـ حـبـ الـرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ حـبـكـ الشـيـءـ وـلـاـ يـوـصفـ

صـاحـبـهـ بـالـعـمـىـ وـالـصـمـ وـنـحـنـ لـاـ تـنـكـرـ الـمـرـتـبـيـنـ الـمـذـكـورـتـيـنـ فـيـ الـمـحـبـ قدـ يـعـمـيـ وـيـصـمـ عـنـهـ بـالـهـيـةـ وـالـإـجـالـ وـلـكـنـ  
لـاـ تـوـصـفـ مـحـبـةـ الـعـبـدـ لـرـبـهـ تـعـالـىـ بـذـلـكـ وـلـيـسـ أـهـلـهـاـ مـنـ أـهـلـ الـعـمـىـ وـالـصـمـ بـلـ هـمـ أـهـلـ الـأـسـمـاعـ وـالـأـبـصـارـ عـلـىـ

**الحقيقة ومن سواهم هم البكم العمى الصم الذين لا يعقلون**  
**الحادي والعشرون:** ميلك للشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك

**الثاني والعشرون:** المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله يقول لمت بعض الإباحية فقال لي ذلك ثم قال والكون كله مراده فأي شيء أبغض منه قال الشيخ فقلت له إذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقواماً وأعداهم فطردهم ولعنهم فأحببتهم تكون موالياً للمحبوب أو معادياً له قال فكأنما ألقم حجراً وافتضح بين أصحابه وكان مقدماً فيهم مشاراً إليه وهذا الحد صحيح وقائله إنما أراد أنها تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب الذي يحبه ويرضاه لا المراد الذي قدره وقضاءه لكن لقلة حظ المتأخرین منهم وغيرهم من العلّم وقعوا فيما وقعوا فيه من الإباحة والحلول والاتحاد والمعصوم من عصمه الله

**الثالث والعشرون :** المحبة بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب وهذا أيضاً من حقوقها وثمراتها وموجباتها

**الرابع والعشرون :** سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وأنشد فأسكر القوم دور الكأس بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقى

ويشغلي صون المحبة والحبب عن هذه الألفاظ التي غاية صاحبها أن يعذر بصدقه وغلبة الوارد عليه وقهقه له فمحبة الله أعلى وأجل من أن تضرب لها هذه الأمثال وتجعل عرضة للأفواه المتلوثة والألفاظ المبتدة ولكن الصادق في خفارة صدقه

**الخامس والعشرون:** أن لا يؤثر على المحبوب غيره وأن لا يتولى أمورك غيره

**السادس والعشرون :** الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته والحرية من استرفاقي ما سواه

**السابع والعشرون :** المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام قلت أما سفر القلب في

طلب المحبوب فهو الشوق إلى لقائه وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

**الثامن والعشرون :** أن المحبة هي مالا ينقص بالجفاء ولا تزيد بالبر وهو ليعي بن معاذ بل الإرادة والطلب والشوق إلى المحبوب لذاته فلا ينقص ذلك جفاؤه ولا يزيد به

وفي ذلك ما فيه فإن المحبة الذاتية تزيد بالبر ولا تنقصها زيادتها بالبر وليس ذلك بعلة ولكن مراد يحيى أن القلب قد امتلاً بالمحبة الذاتية فإذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه يشغله محبة البر بل تلك المحبة قد استحققت عليه بالذات بلا سبب ومع هذا فلا يزيل الوهم فإن المحبة لا نهاية لها وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة ولا نهاية لجمال المحبوب ولا بره فلا نهاية لمحبته بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم كان ذلك دون ما يستحقه رب جل جلاله ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه عشقاً كما سيأتي لأنه إفراط المحبة والعبد لا يصل في محبة الله إلى حد الإفراط البتة والله أعلم

**التاسع والعشرون :** المحبة أن يكون كذلك بالمحبوب مشغولاً وذلك له مبذولاً

**الثلاثون:** وهو من أجمع ما قيل فيها قال أبو بكر الكتاني جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم فتكلم الشيخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا لها ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هيبته وصفا شريه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيه فإن تكلم فالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله والله ومع الله فبكى الشيخ وقالوا ما على هذا مزيد جراك الله يا تاج العارفين

